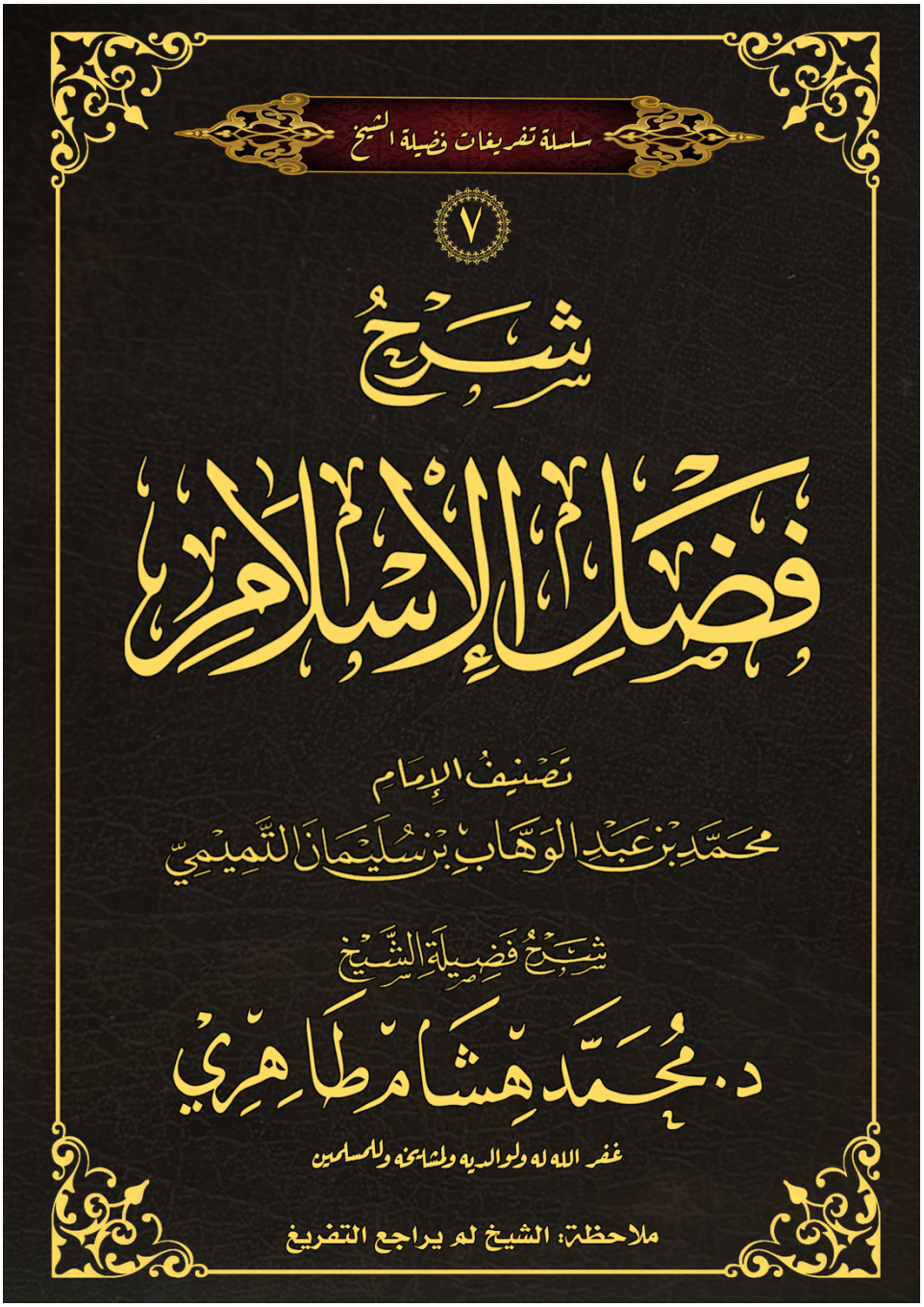
سلسلة تفريغات فضيلة الشيخ
٧
شرح
فضل الإسلام
تصنيف الإمام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
شرح فضيلة الشيخ
د. محمد هشام طاهري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا هو المجلس السابع من مجالس الدورة التأصيلية الأولى في دورتها الثانية، والثالث في شرح كتاب: [**فضل الإسلام**]، ونحن في يوم السبت السادس عشر من ربيع الأول، عام ١٤٤٠ من هجرة المصطفى ﷺ.

ونبدأ حيث كنا قد وقفنا على قوله رحمه الله: (**بَابُ: وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ**)؛ فنبدأ على بركة الله، ونسأله جل وعلا العلم النافع والعمل الصالح.

المتن:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين أجمعين.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في رسالة [**فضل الإسلام**]: **بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ كُلِّهِ وَتَرْكِ مَا سِوَاهُ:**

قال: وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٠٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [سورة النساء، من الآية:٦٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٥٩] الآية.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٦]: "تبيض وجوه أهل السُّنَّة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف".

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو {؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً**»، وتمام الحديث قوله: «**وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**».

فليتأمل المؤمن -الذي يرجو لقاء الله- كلام الصادق المصدوق في هذا المقام؛ خصوصاً قوله: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»، يَا لَهَا من موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياة! رواه الترمذي، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه؛ ولكن ليس فيه ذكر النار.

وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود؛ وفيه: «**أَنَّهُ سَيَخْرُجُ من أُمَّتِي قَوْمٌ تتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ**»، وقد تقدم قوله: «**وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**».

الشرح:

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ كُلِّهِ وَتَرْكِ مَا سِوَاهُ**)؛ مناسبة هذا الباب لفضل الإسلام بيان من الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ أن فضل الإسلام إنما يُدرك بالدخول في الإسلام كله، وهو قبول الإسلام كلًّا، وليس الإسلام الذي يُحدثه الناس ويبدعه الناس، فإن فضل الإسلام لا تُدرك على وجه التمام إلا بقبول الإسلام على وجه التمام والكمال.

وأورد تحت هذا الباب آيات وأحاديث وآثار تدل على أهمية أن يكون الإنسان على الإسلام التام الكامل الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ويلزم من ذلك البعد عن التفرق؛ لا سيما التفرق في الاعتقاد والدين، ويلزم من ذلك البعد عن التنازع؛ لا سيما التنازع الديني فإن ذلك سببٌ لضياع تمام الإسلام وكماله، وسببٌ لضياع فضل الإسلام.

أما الآية الأولى فوجه الشاهد منها (**قوله تعالى:** ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٠٨])؛ على أن كلمة كافة منصوبٌ على الحال من السِّلم، منصوبٌ على الحال من أيش؟ من السِّلم؛ أي: ادخلوا في السِّلم كله، وهذا أحد التفسيرين في الآية، وهو صحيحٌ لا يُعارض التفسير الثاني وهو أن كآفة حالٌ من واو الجماعة في (آمنوا)؛ أي: يا أيها الذين آمنوا كلكم ادخلوا في السِّلم.

- فإذا قلنا: كلكم ادخلوا في السِّلم معنى هذا: كل المسلمين عليهم أن يدخلوا في الإسلام الصحيح.

- وإذا قلنا: كآفة حالٌ من السِّلم؛ فمعناه: على المسلمين جميعًا أن يقبلوا الإسلام كله، وألا ينتقوا منه انتقاءً، وألا يدعوا منه شيئًا.

فوجه الشاهد من هذه الآية ظاهرٌ بيِّن على التفسيرين.

وأما الآية الثانية وهي آية النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [سورة النساء، من الآية:٦٠] **الآية)**؛ وجه الشاهد منها أن هناك أُناس يزعمون الإيمان بالمنزل من القرآن، وبالمنزل من الكتب السابقة، لكنهم في الواقع ليسوا كذلك؛ لأن إيمانهم لفظيٌ، وإسلامهم ظاهريٌ فهم لن يقبلوا الإسلام كلًّا، ولم يدخلوا في الإسلام كله، وهذا أيضًا وجه الشاهد منه جليٌ.

وأما آية الأنعام فوجه الشاهد من الآية أن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٥٩]؛ دلَّ على أن الأمة حينما تفرقت؛ فإن هذا التفرق ليس من دين محمدٍ ﷺ، فإذا كان هذا التفرق ليس من دين محمدٍ ﷺ، وليس النبي ﷺ من هذا التفرق في شيء؛ فمن أين جاء هذا التفرق؟ جاء هذا التفرق من جهة عدم تمسكهم بالمنزل على وجه التمام، جاء هذا التفرق من عدم تمسكهم ودخولهم في الإسلام على وجه الكمال والتمام، ولو أنهم دخلوا في الإسلام على وجه الكمال والتمام وقبلوه كلًّا لا جزءًا،

وقبلوه تامًا لا انتقاءً، لما كان هذا التفرق وهذا التشتت، والتفرق إنما سببه المحدثات والبدع المنافية للإسلام الصحيح المُنزَّل من السماء.

ثم أورد قول ابن عباس في تفسير آية آل عمران: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٦]. ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: (**تبيض وجوه أهل السُّنَّة والائتلاف**)؛ وهؤلاء هم أهل الإسلام التام، أهل الإسلام الكُمَّل، (**وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف**)؛ وهم الذين زعموا الإسلام ولكن دخولهم انتقائيٌ، دخولهم دخول هوى، دخول بدع، فالآية فيها دلالة على فضل من تمسك بالسُّنَّة وائتلف، وفيها دلالة على التحذير ممن لم يدخل في السُّنَّة كلًّا وابتدع واختلف.

ثم أورد فيه رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: (**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ**)؛ نعلك اليمين لا يختلف عن نعلك الشمال، إلا في كون هذا يمين وهذا شمال، وإلا فهما سواء طولًا وعرضًا، وشكلًا وظاهرًا وباطنًا، ولا لا؟ صح ولا لا؟ فالنبي ﷺ يُبيِّن أن هذه الأمة سيكون فيهم أُناس يأتون ويفعلون كما فعل بنوا إسرائيل، طيب بنو إسرائيل غيروا؛ إذًا سيكون هناك من يُغير، بنو إسرائيل أحدثوا سيكون هناك من يُحدث، بنو إسرائيل أشركوا سيكون هناك في أمة الإسلام من يُشرك، بنو إسرائيل ارتكبوا المحرمات الموبقات الظاهرة سيكون في الأمة من يرتكب الموبقات الظاهرة.

حتى قال ﷺ: (إِنْ كَانَ فِيهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ)؛ ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:٥٣]؟ الجواب: لا؛ إذًا كيف؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [سورة الذاريات، من الآية:٥٣]؛ لأن النفوس البشرية في الأهواء متشابهة، لذلك تجد التشابه في هذه الأفعال الشنيعة.

قال: (وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً)؛ إذًا النبي ﷺ يُحذر من التفرق، ففيه دلالة واضحة للباب.

(وتمام الحديث قوله: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»)؛ تأمل أن هذه الأمة؛ الأمة المقصود بها هنا هذه الأمة أمة الاستجابة وليست أمة الدعوة، لماذا قلنا أن المقصود بأمة هنا أمة الاستجابة؟ هذه الأمة وليست أمة الدعوة؛ لأن أمة الدعوة هي متفرقة إلى أكثر أن اليهود لحالهم إحدى وسبعين فرقة، والنصارى اثنين وسبعين فرقة، كم المجموع؟ مائة وثلاث وأربعين فرقه، فلما قال: "هذه الأمة ستفترق إلى ثلاثٍ وسبعين"، علمنا أن المقصود ليس أمة الدعوة، أمة الاستجابة؛ أي: من زعم الإسلام، من أظهر الإسلام، سيفترقون إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، وهذا حدٌّ وليس للتكثير؛ لأن الذي يأتي للتكثير هي سبعون، ثمانون، مائة، ألف، أما ثلاثٌ وسبعون لا تأتي إلا للتحديد.

والمقصود هنا الفرق الكبار التي لها أثارٌ ظاهرة، أما الفرق الصغار التي لا يباه بها فليس معدودًا هنا، الفرق التي لها تأثير في هدم الإسلام وتفرقة المسلمين، كلهم في النار إلا واحدة.

(**قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟**)؛ شوف فقه الصحابة، اشتغلوا بالناجين ولم يشتغلوا بالهالكين، لماذا؟ حتى يوجدوا في أنفسهم أسباب النجاة، (**قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»**)؛ هذا طريق النجاة.

قال الإمام: (**فليتأمل المؤمن -الذي يرجو لقاء الله- كلام الصادق المصدوق في هذا المقام؛ خصوصًا قوله: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»**)؛ هذا هو الدين الخالص، هذا هو الإسلام الصافي، هذا هو الإسلام الذي له الفضل العظيم، أما الإسلام الذي أضافه الناس إليه إضافات، وزادوا فيه موالح وبهارات، وزادوا فيه المحدثات المبتدعات، هذا الإسلام إن كان فيه شيءٌ من الجمال فلبقاء الإسلام فيه، وإلا فالمحدثات والبدع كلها قباحات.

قال: (**يَا لَهَا من موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياةً!**)؛ فليجتهد صاحب القلب الحي حتى ينظر ماذا كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فيسير على ما كان عليه اعتقادًا وخُلقًا وعملًا.

وحديث ابن عمر قال: (**رواه الترمذي، ورواه أيضًا**)؛ يعني الترمذي (**من حديث أبي هريرة** رضي الله عنه **وصححه؛ ولكن ليس فيه ذكر النار**)؛ يعني كلها في النار هذه غير موجودة برواية أبي هريرة.

(**وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود**)؛ إذًا ذكر النار، وافتراق الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين ملة موجودة في حديث معاوية عند الإمام أحمد في المسند، وعند أبي داود في السنن.

(**وفيه: «أَنَّهُ سَيَخْرُجُ من أُمَّتِي قَوْمٌ تتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ**)؛ ما معنى تتجارى؟ التجاري يعني: التباري، يتسابقون، هؤلاء يُحدثون هؤلاء يُحدث، هؤلاء عندهم قبر ولي، هؤلاء يجعلون عندهم قبر ولي، هؤلاء عندهم إمام معصوم هؤلاء عندهم إمام معصوم، هؤلاء عندهم من يأتيه الفيض هؤلاء عندهم من يأتيه الفيض، هذه عنده منامات، هذه يقول عندنا منامات، (**تتَجَارَى**)؛ أي: تتسابق بهم تلك الأهواء والبدع.

(**كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ**)؛ بفتح اللام مشكول عندكم بالسكون هذا خطأ، (**كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ**)؛ -اكتب- الكَلَبُ داءٌ يُصيب الإنسان من عضة الكلب المسعور، ثم ينتشر في البدن انتشارًا لا يكاد يشفى منه الإنسان، (**كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ**)؛ أي: هذا المرض، (**بِصَاحِبِهِ، فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ**)؛ لذلك تجد المبتدعة عندهم إذا صار صاحب بدعة عنده بدعة في العقائد، عنده بدعة في العبادات، عنده بدعة في المعاملات، عنده بدعة في كل

شيء، لماذا؟ لأنه صار صاحب بدعة، ثم يتجارى بعضهم مع بعضٍ؛ يتسابقون هؤلاء يقولون: نحن الذين أشعلنا الثورات، هؤلاء يقولون: نحن الذين أشعلنا الثورات، هؤلاء يقولون: نحن الذين نريد التغيير، هؤلاء يقولون: نحن.. هكذا كل واحد.

قال: (**وقد تقدم قوله**: «**وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**»)؛ أن هذا مذموم؛ لأن الإسلام دين كامل فكيف نبتغي فيه سنة الجاهلية؟!

خلاصة الباب: أن من رام فضل الإسلام فعليه أن يدخل في الإسلام كلًّا لا جزءًا، وأن يقبل الدين بدون الزيادات والمحدثات.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله تعالى-: **بَابُ ما جاء أن البدعة أشدُّ من الكبائر:**

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء، من الآية:٤٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [سورة النحل، من الآية:٢٥] الآية.

وفي الصحيح أنه ﷺ قال في الخوارج: «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»، وفي لفظ:» **لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»، وفيه أيضًا أنه ﷺ: «**نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا**».

وعن جريرٍ رضي الله عنه أن رجلاً تصدق بصدقةٍ، ثم تتابع الناس فقال رسول الله r: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا من بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً جاهليةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ إلى يوم القيامة مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»، رواه مسلم، وله مثله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، ثم قال: وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ**».

الشرح:

هذا الباب أورده المصنف رحمه الله ليُبيِّن خطورة الإسلام الذي يدعيه أهل البدع، وأن هذه الدعاوى على خطر عظيم، أعظم من خطر أهل الذنوب، كل أهل الإسلام يمقتون أصحاب الكبائر؛ لا سيما المجاهرين منهم، فإذا علم الإنسان شرعًا أن صاحب البدعة أشد عقوبةً عند الله، وأشد نكايةً عند الله من أهل الكبائر حذر من البدع والمحدثات، وحافظ على الإسلام الكامل، وأدرك فضل الإسلام، وإلا فإنه إذا لم يُدرك خطورة الكبائر ولم يُدرك خطورة البدع فسيقع في البدع.

(**بَابُ ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر**)؛ إذًا هذا الباب بوبه لنحظر من الإسلام الذي دخل عليه المحدثات والبدع، فلا نفوت على نفسنا فضل الإسلام.

أورد رحمه الله ثلاث آياتٍ وأحاديث في الدلالة على هذا الباب، الآية الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء، من الآية:٤٨]؛ وردت في سورة النساء في موضعين، ما وجه الشاهد من هذه الآية على أن البدعة أشد من الكبائر؟

هل يوجد كبيرة اسمها: هل في الكبائر دون الشرك ما لا يغفره الله؟ اجيبوا، لا يوجد، كل كبيرةٍ دون الشرك فهي تحت ماذا؟ المشيئة، الشرك من جنس البدع غير مغفورٍ، فإذا كان الشرك من جنس البدع غير مغفور دلَّ على أن هذا الجنس قبيح، ليش قبيح؟ لأن الكبائر جنسها غير الشرك مغفور، فأيهما أعظم شيءٌ جنسه مغفور، وشيءٌ جنسه غير مغفور؟! لا شك أن جنس البدع أعظم، لماذا؟ لأن منه ما لا يُغفر، بخلاف جنس الكبائر دون الشرك فإن كلها تحت المشيئة، هذا استنباط دقيق من الإمام رحمه الله.

فالبدع وإن لم تكن شركًا فهي من جنس المحدثات قرينة جنس الذي لا يُغفر؛ لأن هذا الشرك محدث، والمحدثات غير الشرك محدث، فالذي يجمع كلمة محدث، كلمة مبتدع، كلمة مخترع، فهو من جنس الذي له جنسٌ لا يُغفر، فهذا خطير.

ولهذا -أيها الإخوة- كل شركٍ في العالم سببه إحداثٌ، سببه بدعةٌ، ما يوجد شرك بدون بدعة، لذلك لا تستغرب إذا قال العلماء: البدعة باب الكفر، لا تستغرب، البدعة مركب الكفر لا تستغرب؛ لأنه يوصل الإنسان إلى الكفر والشرك، ولهذا تجد الردة في أهل البدع ولا تجد الردة في أهل السُّنَّة، أنا أعرف أناس ١٩٠ درجة كانوا تكفيريين، ١٩٠ درجة انقلبوا لا دينيين لاحظوا! هذه خطورة أيها الإخوة.

ثم أورد آية الأنعام وفيها وجه الدلالة: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٤٤]؛ فالمحدث في الدين مفترٍ على الله، ولماذا يُحدث؟ ليُضل الناس وليس عنده علمٌ بالسُّنَّة.

وأما آية النحل: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[سورة النحل، من الآية:٢٥]؛ وجه الاستشهاد أن المبتدعة يحمل وزر بدعته إذا تبعه الناس على ذلك، يحمل وزر بدعته ويحمل تبعات الناس، وهذا أمر خطير.

وفيه أيضًا: (**أنه** ﷺ)؛ يعني: في الصحيح، (**قال في الخوارج**: «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»، **وفي لفظ**:» **لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ وإرم**»)؛ سؤال ها الحين: هل النبي ﷺ قتل السارق؟ هل قتل المغتاب؟ هل قتل النمام؟ هل قتل الكذاب؟ هل قتل القاذف؟ أجيبوا، هل قتل الزاني غير المحصن؟ إذًا لم يقتل

أصحاب الكبائر، لماذا النبي ﷺ يقول: «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**»؟ لخطورة البدعة؛ لأنهم باسم الإسلام يُفسدون، باسم الإسلام يُفجرون، باسم الإسلام يقتلون، باسم الإسلام يُكفرون، باسم الإسلام يشوهون صورة الإسلام، «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**».

»**لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»، قارن هذه الشدة من الرؤوف الرحيم ﷺ بالأمة؛ قارنها مع قوله ﷺ عن أمراء الجور لما قيل نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صلوا**»، أمراء جور ظلمة فسقة، قال: لا تقاتلوهم، لماذا؟ لأن هذا ظلم وفسق، لاحظ! لكن هنا بدعة، دلَّ على أن البدع أشد خطرًا في نظر الشرع، ففرق الشارع بين التعامل مع المبتدع وبين التعامل مع صاحب الكبيرة، انتبهتم لهذا! هذه مسألة عظيمة.

النبي ﷺ قال عن الخوارج: »**لَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»؛ أي: لا أبقي منهم أحدًا، وقد طبقه علي بن أبي طالب فقتلهم جميعًا إلا أربعة فروا، وقال: «**أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا**»، وقال في أمراء الجور: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»؛ دلَّ على خطورة البدعة أيها الإخوة.

وأما حديث جرير، فما وجه الشاهد من هذا الحديث؟ وجه الشاهد قال: (**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً**)؛ كيف نعلم أنها سُنَّة حسنة؟ لأنها مشروعة، هذا هو العلم عليه دليل من الكتاب والسُّنَّة، يقول للناس: أيها الناس! هيا نبني مسجدًا، طيب.. بناء المسجد مشروع ولا غير مشروع؟ مشروع بنص القرآن

والسُّنَّة، يقول للناس: أيها الناس لنحفر بئرًا؛ إذًا هذا مشروع ولا غير مشروع؟ هذا معنى: (**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً**)؛ مو معناه يجيب من عنده، لا، (**سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً**)؛ كيف نعرف أنها حسنة؟ مشروعة.

(**فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا من بَعْدِهِ**)؛ العجيب أن أهل البدع يستدلون بهذا الحديث على أن هناك سُنَّة حسنة، وسُنَّة سيئة! يقول: إذا كان المقصود سُنَّة حسنة سُنَّة سيئة في أمور الدنيا، فهذا لا يمكن إنكاره، هناك أمور في الدنيا حسنة وأمور سيئة في الدنيا، ما في إشكال، فالذي صنع الكنديشن هذا أمر حسن، الذي صنع القنبلة الذرية هذا أمر سيء، كل إنسان عاقل يُدرك هذا، لكن نتكلم الآن عن الدين، هل في الدين سُنَّة حسنة وسُنَّة مبتدعة؟ إذا كان مقصود سُنَّة حسنة؛ أي: شرعها الله ورسوله؛ فنعم، هذه ما تُسمى بدعة تُسمى سُنَّة حسنة، وأما السُّنَّة السيئة هي التي يشرعها الناس أيًّا كانوا في دين الله ﷻ؛ إذًا القسمة ثنائية، سُنَّةٌ شرعها الله ورسوله لا تكون إلا حسنة، ويُحيها الناس، والعلماء، والمجددون، وسُنَّة يشرعها الناس في الدين لا تكون إلا بدعة.

قال: (**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً جاهلية**)؛ لما قال في الإسلام؛ يعني: في أمور الدنيا ولا في أمور الدين؟ في أمور الدين؛ لأنه قال في الإسلام، (**سُنَّةً جاهلية، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ إلى يوم القيامة مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**)؛ إذًا البدعة خطيرة؛ لأن من يعمل بها يحمل وزرها من ابتدعها.

قال: (**وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: «من دعا إلى هدى، ثم قال: ومن دعا إلى ضلالة»**)؛ والهدى ما جاء بالشرع، والضلالة ما خالف الشرع.

المتن:

أحسن الله إليكم.. قال -رحمه الله تعالى-: **باب ما جاء في أن الله احتجز التوبة عن صاحب البدعة:**

هذا مرويٌّ من حديث أنسٍ رضي الله عنه ومن مراسيل الحسن، وذكر ابن وضاحٍ عن أيوب قال: "كان عندنا رجلٌ يرى رأيًا فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله، يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه"، وسُئل أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- عن معنى ذلك فقال: "لا يوفق للتوبة".

الشرح:

حديث (**إن الله احتجز التوبة عن صاحب البدعة**)؛ هذا الحديث مختلفٌ في تصحيحه وتحسينه وتضعيفه بين العلماء، وعلى كل حال فمعناه يكاد العلماء يطبقون عليه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ [سورة النساء، من الآية:١٣٧]؛ تأملوا معي هذه الآية! فالمحدث هذه حاله، يُظهر الإسلام ويبتدع، يُظهر الإسلام ويبتدع، يُظهر الإسلام ويبتدع.

هذا الحديث إذا صحَّ فهو محمولٌ على أن المراد به الزنادقة الذين يدخلون في الإسلام ليشوهوا صورة الإسلام باسم الإسلام، وليس المقصود به عوام الناس، لكنه يدل على خطورة صاحب البدعة الذي يؤلف للناس البدع، الذي يخترع للناس البدع، يجعل لهم قبرًا معبودًا مع الله، يجعل لهم شجرًا يتمسحون بها، يجعل لهم فكرةً يتعلقون بالخرافات والمنامات، حتى إن من المسلمين من يعتقد أن فلان من الناس يرسل له طاقة والقوة والجاذبية -عياذًا بالله-، فهذا أمر خطير أيها الإخوة، يجعل للناس الاعتقاد بأنك تعتمد على نفسك، ما في شيء اسمه توكل، هذه كلها خطيرة.

قال: (**وذكر ابن وضاحٍ**)؛ وهو الإمام محمد بن وضاح الأندلسي رحمه الله، صاحب كتاب: [**البدع والنهي عنها**]، وهو من أول المؤلفات في النهي عن البدع، (**عن أيوب**)؛ وهو ابن أبي تميم السختياني، (**قال: كان عندنا رجل يرى رأيًا فتركه**)؛ كان خارجيًا فترك رأي الخوارج، (**فأتيت محمد بن سيرين**)؛ يعني: جاء إلى شيخه، (**فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه؟**)؛ مستبشر خير، (**قال: انظر إلى ماذا يتحول؟**)؛ لا تستعجل، (**إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه**)؛ أمر خطير والله يا إخوة، وهذا فيه دلالة على خطر المبتدعة، وأنهم على خطر عظيم، إذا كانوا على خطرٍ عظيم فكيف يدركون فضل الإسلام؟ لا يمكنهم،

ومن هنا نُدرك أن أهل البدع لا يعرفون فضل الإسلام، وإنما يعرفون فضل بدعهم، فضل مخترعاتهم ومحدثاتهم.

قال: (**وسُئل أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ **عن معنى ذلك فقال: "لا يوفق للتوبة"**)؛ وهذا تفسير جميل، (**لا يوفق للتوبة**)؛ لا يُعان على التوبة.

المتن:

أحسن الله إليكم.. قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: باب قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٦٥]، إلى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٣٠] الآيتين.

وفيه حديث الخوارج وقد تقدم، وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «**إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي المتقون**»، وفيه أيضاً عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ذُكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر، فقال النبي ﷺ: «**لكني أَنَامُ وأُقُومُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

فتأمل! إذا كان بعض أفاضل الصحابة لما أراد التبتل للعبادة قال فيه هذا الكلام الغليظ، وسمي فعله رغوبًا عن السُّنَّة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟

الشرح:

قوله: (**باب قول الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٥٦]، إلى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٥٧]، مناسبة هذا الباب لفضل الإسلام: أنه ليس كل أحدٍ يدعي الإسلام يُدرك فضل الإسلام، فقد كان اليهود والنصارى يدعون أنهم على ملة إبراهيم بل والمشركون، وهم ليسوا من فضل ملة إبراهيم في شيء، لا اليهود ولا النصارى فضلًا عن المشركين، فقد يكون في هذه الأمة من يدعي أنه محمديٌّ، وأنه سُنيٌّ، وأنه على الإسلام الصحيح، وأنه على السُّنَّة، وأنه محبٌّ للنبي ﷺ وآل بيته، ومحبٌّ للصحابة وليس كذلك؛ إذًا القول ليس بالدعاوى.

ففضل الإسلام لا تُدرك بالدعوى، وإنما تُدرك بالسير، والعمل، والقول، والاعتقاد، قال.. اليهود يقولون: إن إبراهيم كان منا، والنصارى قالوا: إبراهيم كان منا، قال الله:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة آل عمران، من الآية:٦٧].

وأما آية البقرة: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٣٠-١٣١]؛ ما وجه الشاهد على الباب؟ وجه الشاهد أن إبراهيم عليه السلام دينه الاستسلام التام، دينه الانقياد الكلي للشرع، قبول ما جاء عن الله، وعدم المراوغة في المنزل، وترك أي شيء آخر يخالف المنزل، هذا هو دين إبراهيم وملة إبراهيم، فمن رغب عن ملة إبراهيم بقبول المحدثات، والإقبال على الزيادات، وترك المنصوصات فهو سفيه وليس على الإسلام الصحيح، هذا وجه الاستشهاد من الآية.

قال: (**وفيه حديث الخوارج وقد تقدم**)؛ ما حديث الخوارج؟ أنهم.. لاحظ الآن! وجه الشاهد من حديث الخوارج لهذا الباب قال ﷺ: «**يَمْرُقونَ منَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّمِيَّةِ**»، هذا قول ممن؟ من النبي ﷺ عمن؟ خوارج، الذين هم لاحظ! تحقرون صلاتكم عند صلاته، وصيامكم عند صيامهم، وقراءتكم عند قراءتهم، لا يتجاوزون حناجرهم؛ إذًا ليست القضية قضية دعاوى، ولا قضية أفعال، حتى القضية قضية إتباع تام.

فالخوارج مع شدة عبادتهم لو سألك أي إنسان وقال: الخوارج خالفوا النبي ﷺ في أي شيء؟ ما نستطيع أن نقول: أنهم خالفوا النبي ﷺ في أركان الإيمان، ولا في أركان الإسلام؛ لا سيما الحرورية المُحكِّمة الأولى؛ عجل خالفوا المسلمين في أي شيء؟ في شيء واحد وهو استحلال دماء المسلمين،

استحلال دماء أن من ليس معهم فهو كافر، تكفير بالمعية، والإسلام بالمعية، فوصفهم النبي ﷺ بهذا الوصف الشنيع، أنهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، فكيف بمن مفارقاته للإسلام يتعبنا، ونحن نحصيها ونعدها؟! بالله عليكم كيف؟! لو رأى الصحابة المبتدعة اليوم، لقالوا: حنانيك عن الخوارج الأمس، ولو رأوا خوارج اليوم لقالوا: حنانيك عن خوارج الأمس، الأمر خطير أيها الإخوة.

قال: (**وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلاَنٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي المتقون**»)؛ تأمل هذا الحديث العظيم، أن آل النبي ﷺ يعني محبوه وأتباعه ليس بالنسب، واحد يجي يقول: أنا من آل البيت هذا مو كافي، لو كنت من آل البيت صدقًا فكن له متبعًا حقًا، ومن اتبع النبي ﷺ فهو من آل بيته.

ولذلك قال ﷺ: (**إِنَّمَا أَوْلِيَائِي المتقون**)؛ يعني: أحبابي الذين أواليهم وأحبهم هم المتقون، أينما كانوا ممن كانوا، ولذلك محبة النبي ﷺ لا تُدرك بالنسب، أبو جهل وأبو لهب من أقرباء النبي ﷺ، وعتبة وشيبة وغيرهم، ما أدركوا شيء، لاحظ! ما أدركوا شيء من محبة النبي ﷺ، لماذا؟ لأنهم ليسوا على دينه، المحبة تُدرك بالاتباع.

قال: (**وفيه أيضًا عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذُكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم**)؛ تقرب جديد بنوعية جديدة، تقرب إلى الله بعدم

أكل اللحم، (**وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام**)؛ إذًا يُحرم نفسه من النوم فيقيم الليل كله، (**وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء**)؛ يعني: رغب عن الزواج، ليش؟ صائم النهار قائم الليل، (**وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر، فقال النبي ﷺ: «لكني أَنَامُ وأُقُومُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»)؛ إذًا المقصود (**بمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي**)؛ مو سُنَّة الفقهاء، المندوب؛ لا، (**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي**)؛ أي: عن طرقتي في الاعتقاد والعمل، عن منهجي في السير على الإسلام.

قال: (**فتأمل! إذا كان بعض أفاضل الصحابة لما أراد التبتل للعبادة قال فيه هذا الكلام الغليظ، وسمي فعله رغوبًا عن السُّنَّة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟**)؛ سبحان الله! إذا كان النبي ﷺ غضب ممن قال وابتدع مقولةً لم يفعلها؛ لأنهم قطعًا انتهوا بمجرد أن حذر النبي ﷺ تركوا هذه الأعمال، مجرد أنهم قالوا أقوالًا يتقربون بها إلى الله بغير ما تقرب به رسول الله ﷺ غضب عليهم، فكيف لو رأى النبي ﷺ مبتدعة اليوم الذين يتقربون إلى الله بضرب الخدود، وشق الجيوب، الذين يتقربون إلى الله بالغناء وبالرقص، الذين يتقربون إلى الله بالفلسفة والوجد والذوق، الذين يتقربون إلى الله بالطاقة، كيف لو رأى هؤلاء الذي أدخلوا على المسلمين الشرك والبدع والمحدثات؟ لا شك أن هؤلاء أخطر، ولا مقارنة بينهم وبين الذين قالوا هذا الكلام.

هذا كله يدل -أيها الإخوة- على أن فضل الإسلام لا تُدرك بمجرد الدعوة، وإنما بامتثال أمر النبي الكريم ﷺ واتباعه.

لعلنا نكتفي بهذا -إن شاء الله- الأسبوع القادم ننتهي من الكتاب، ونطول شوي.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تمت